تزد البلاد التي تنشأ فيها على مقاديرها .» [١]

فالرجل يطيل الحديث ويشرح جهات العمران ومداه وأسبابه ؛ لكي يصل في النهاية إلى الحكم بفساد الدلالة ؛ بحيث لم تطابق الحقيقة الكائنة في الوجود ، التي يعاينها الناس بمرور الأزمان .

ومن المدهش أن الجرجاني بعد هذه الإطالة في الدفاع عن ضرورة الاستعمال المثالي للغة ، يعود بعد قليل لكي يغلِّب عادة الاستعمال على حقائق اللغة ذاتها ، ويرى أن الظاهر أولى من الأصول ، وذلك في تعليقه على حديث الرسول ﷺ : (الأيِّم أحقُّ بِنَفْسِها من وَلِيِّها ، والبِكْرُ تُستأذَنُ في نفسِها .» [٢]

وقد يكون التمسُّكُ بهذه المثالية في الدلالة اللُّغوية وراء مقولة (**الإحالة**) التي أخذها النقادُ على كثير من الأبيات الشعرية ، فالواقع الذي يعاينه الإنسان أن المعدوم لا يمكن رؤيته ، ولذلك فالمنطق ألا تقول : (أرى غير شيء) ؛ لأن ذلك مما يُنْقَد ، كما في قول المتنبي :

وَضاقَتِ الأَرْضُ حَتّى كادَ هارِبُها إذا رَأى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلا [٣]

وتكون المبالغة في وصف القوة إلى الحد الذي لا يتصوَّره العقل نوعًا من (الإحالة) أيضًا ، فالنطف التي لم تخرج إلى الحياة لا يتصوَّر لها قدرة على الإحساس بالخوف ؛ ولذا أخطأ أبو نواس في قوله :

وَأَخَفْتَ أَهْلَ الشِّرْكِ حَتّى إِنَّهُ لَتَخافُكَ النُّطَفُ الَّتي لَمْ تُخْلَقِ

---

(١) القاضي الجرجاني : الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ص ١٠-١٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٩ ، ٨٠ . (٣) التنوخي : الأقصى القريب . ص ١٠٠ .